



جامعة طولكرم

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

المرحلة الثانية

المادة : تاريخ أوروبا في عصر النهضة

الاصلاح الكاثوليكي المعاكس

العام الدراسي : ٢٠٢٥-٢٠٢٦

م. د. لقاء منذر قدوري

الإصلاح الكاثوليكي المعاكس

لقد أرعبت حالة الانقسام الديني بابوية النصف الثاني من القرن السادس عشر بل هالها الامر الذي وصلت اليه المسيحية والوضع المتردي الذي اصبحت فيه البابوية بعد ان مثلت القوة الوحيدة في أوروبا طيلة مدة العصور الوسطى، لقد أضطلع بحركة الإصلاح التي قامت بها البابوية وتبناها البابا بولس الثالث (١٥٣٤ - ١٥٤٩) مجمع ترانت ومنظمة اليسوعيين ومحاكم التفتيش ولجنة الثبوت لمراقبة المطبوعات ، ومع كون هذا الإصلاح المضاد قد وقع أسيرا للنظام والتقاليد التي كانت سائدة بعكس ما اتصفت به الحركة البروتستانتية من ثورية تناولت أساس العقيدة نفسها ، الا أن الإصلاح المضاد طهر الكنيسة من الشوائب وساعد على الاحتفاظ بجميع الكاثوليك وعلى استرجاع الأراضي المفقودة في بعض دول أوروبا وعلى الاخص داخل الإمبراطورية الرومانية المقدسة .

اولاً - مجمع ترانت

تقع مدينة ترانت من الناحية الجغرافية في إيطاليا، ومن الناحية السياسية ضمنا نطاق الإمبراطورية الرومانية المقدسة - اي تحت سلطة الإمبراطور شارل الخامس وقد عقد هذا المجتمع تحت إلهام الإمبراطور نفسه وضغط الراغبين في إصلاح الكنيسة أيضاً، وكان الخلاف الحاد بين الإمبراطور فرانسوا الأول سببا مهما في تأخر انعقاد المجمع لمدة ثلاث سنوات ، إذا كان يرى كل منهما أن مسألة مكان انعقاد المجمع سوف تحدد بالتالي سيطرة كل منهما السياسية عليه ، لهذا فلم يعقد المجمع اولى جلساته إلا في عام ١٥٤٥ بعد أن كانت الدعوة موجهة إلى عقده عام ١٥٤٢ ، وقد استمرت أعمال المجمع متقطعة لمدة ١٨ عاماً (١٥٤٥ - ١٥٦٣) وذلك للخلافات التي نشبت بين أعضائه أي بين ممثلي البابوية من جهة وممثلي الإمبراطور من جهة ثانية ، ومع كونه بدأ في مدينة ترانت الا أن

الأعضاء انتقلوا الى مدينة بولونيا في ايطاليا ليعودوا الى ترانت من جديد عام ١٥٥١ ، تركت مناقشات المجمع حول نقطتين هامتين : كانت النقطة الأولى تختص بتعيين الأساقفة والنص على المصدر الذي يستمدون منه سلطانهم من السيد المسيح فقط ، وأكد قسم منهم إلى أن البابا مصدر كل سلطة باعتباره خليفة القديس بطرس ، أما النقطة الثانية فقد تركزت حول سلطة البابا على المجامع المسكونية وسبب هذا الاختلاف يعود الى هوية المجتمعين أنفسهم ففي حين كان انصار الإمبراطورية من الكاثوليك والبروتستانت المجتمعين معهم يريدون التقليل من سلطة البابا، فقد شدد ممثلو البابا على سلطته التي يجب أن تكون فوق كل سلطة دينية .

أكدت قرارات مجمع ترانت أو مراسيم ترانت أن سلطة البابا هي سلطة العليا في الكنيسة كاثوليكية لكونها مستمدة من سلطة السيد المسيح والقديس بطرس ولهذا فهو المفسر الوحيد للكتاب المقدس ، وأن الديانة المسيحية تقوم على الكتاب المقدس (المترجم إلى اللاتينية والتي قام بها القديس جيروم في القرن الرابع) وأيضاً تقوم على قرارات البابوات والمجامع المسكونية، وقرر المجتمعون كذلك أن الحد الأدنى لسن الاسقف ٣٠ عاماً و سن القسيس ٢٥ عاماً، كما حرموا زواج رجال الدين وأبقى على الأسرار السبعة (التعميد، التثبيت، القربان المقدس، التوبة، المسحة الاخيرة الكهنوت، الزواج) وتقديس صور وتماثيل القديسين، ثم أنه أكد على وجوب استخدام اللغة اللاتينية في القداس والاحتفالات، ورفض اللغة الوطنية ومن خلال قرارات مجمع ترانت نرى أنه البابوية قد خرجت منتصرة وذلك لتأكيداها على سلطة البابا العليا ثم الشعور الكاثوليك وعلى الاخص رجال الدين منهم جديد بثقه تامة بأنفسهم بعد محاولات التشكيك التي مارسها البروتستانت .

ثانياً - منظمة اليسوعيين الجزويت

كانت من أهم الجمعيات الدينية التي ظهرت في أوروبا خلال القرن السادس عشر ، وأسهمت في خدمة الكنيسة الكاثوليكية وحافظت على

كيانها ونفشت روح جديدة وهي جمعية اليسوعيين ، مؤسس هذه المنظمة رجل أسباني يعرف باسم اغناطيوس ليولا (١٤٩١-١٥٥٦) كان محارباً اتجه نحو الصلاة والتأمل الديني بعد أن أصيب بجروح خطيرة في ساقه في إحدى المعارك التي قامت بين شارلكان وفرانسوا الأول ، وانتقل من إسبانيا إلى باريس أذ حصل من جامعتها على درجة الدكتوراه في علم اللاهوت والفلسفة و خلال إقامته في باريس استطاع أن يرتبط مع بعض الزملاء في شبه رابطة تقوم مبادئها على خدمة الكنيسة الكاثوليكية وطاعه البابا، وكان تنظيم اليسوعيين عسكرياً اوتوقراطياً يرأسهم قائد يسمى جنرال ينتخب لمدى الحياة ويتمتع بسلطات واسعة على جميع أفراد الجمعية لكنه يخضع لمراقبة هيئات تتألف الأولى منها من رقيب وستة مساعدين يمثلون (المانيا، فرنسا إسبانيا ، البرتغال ، إيطاليا ، بولندا) ، والثانية تتمثل في الجمعية العامة التي تتألف من ستة اقسام لكل قسم رئيس يمثل اقليم من الاقاليم الستة المذكورة .

انخرط الجزويت في مهمة التعليم لمكافحة البروتستانتية وأسسو المدارس والجامعات في جميع أنحاء أوروبا، ومارسوا وفيها الوعظ والتعليم بكل صدق وإخلاص حتى برعوا في الميدان التربوي ، وأصبحت مدارسهم من أنشط المدارس وأنجحها في أوروبا ، كما انهم سيطروا على عقول الأجيال الصاعدة وساهموا في الحياة السياسية وشغل بعضهم مناصب كمستشارين الملوك والوزراء مما إعاقة تقدم البروتستانتية وانتشارها في أكثر أنحاء أوروبا ، ولم يكتفي الجزويت بمهمة التعليم في أوروبا ونشر الكاثوليكية فقط بل انهم تعدوها إلى ما وراء البحار أذ عملوا على نشر المذهب المسيحي الكاثوليكية .

ثالثاً- محاكم التفتيش

تعد محاكم التفتيش من الوسائل السلبية التي لجأت إليها كنيسة روما في حركتها الإصلاحية ، ومع أن جذور هذه المؤسسة تمتد إلى القرن الثاني عشر عندما اقرها مجمع فيرونا عام ١١٨٣ وضع لها الأساس التي بنيت

عليها، فإن بابوية العصور الوسطى لاستخداماتها للقضاء على الحركات الدينية التي خرجت على تعاليم الكنيسة كاثوليكية وفعلا اشتد عمل هذه المحاكم في القرن الخامس عشر في إسبانيا عندما بدأت الملكية فيها تستخدمها من أجل تنفيذ أغراضها السياسية ودعم سلطانها المطلق ، نشأت محاكم التفتيش من الناحية النظرية ضد الهرطقة المسيحيين فقط ، وشملت التشريعات التي وضعت لهذه المحاكم جميع المسيحيين في إسبانيا ثم بعد ذلك انتشرت هذه المحاكم في إنجلترا ، جددت في عدة مراسيم بابوية ، واهمها مرسوم البابا سكستوس الرابع عام ١٤٧٧ ، ومرسوم البابا بولس الثالث عام ١٥٤٢ إيماناً منه باستطاعة هذه المحاكم ، اما وسائل التعذيب التي اتبعتها هذه المحاكم فقد اتى على ذكرها جميع المعاصرين مع ما كان يجدونه في حينها من تحريم شديد عمليات التعذيب.

رابعاً - لجنة الثابت

كانت لجان الثابت التي أنشأتها البابوية في القرن السادس عشر إحدى الوسائل غير المشروعة التي تبعتها ضد من ترى في أفكارهم وكتاباتهم خطراً على الروح المسيحية ، ومع ان مجمع ترانت لم يتخذ قراراً محدداً بهذا الشأن ، الا أن البابوية التي فرضت في العام ١٥١٥ رقابة كاملة على جميع المطبوعات المتداولة في المناطق التابعة لها في إيطاليا قد ألحقت هذه اللجنة في محاكم التفتيش عام ١٥٤٣ فمارست رقابتها على المطبوعات بكل صرامة وشدة وكانت مؤلفات مكيافلي وراسم من ضمن المطبوعات المحرمة والموضوعة على جداول الكتب التي لا يسمح بتداولها أو إعادة طبعها ، وفي عام ١٥٥٩ وضع البابا بول الرابع أولى الفهارس في الكتب المتهرطقة ومن ضمنها مؤلفات لوثير وكالفن وغيرها من المصلحين ، وهكذا يتحول الإصلاح الكاثوليكي إلى مناهضة حركة النهضة، فقيدت المحاكم الدينية الحرية الدينية والعلمية والفلسفية وحرية النقد والنشر في المناطق الكاثوليكية مثل إيطاليا إسبانيا البرتغال بلجيكا ، فحجبت عن هذه البلاد ليس حرية الكلمة فحسب بل أيضاً العلوم والأدب

والفنون التي أخذت تطور في المناطق البروتستانتية والتي كانت النهضة الأولى قد تأخر قيامها فيها .